من روائع الأدب المجرى

حزمة الرسائل

للكاتب المجرى بوراس جوكاى

بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

اضطُر الدكتور ك ... — من أشهر جراحى بست — فى ساعة مبكرة من ذات صباح أن يستقبل زائراً مجهولاً . إذ قال الرجل للممرض وهو يتمهل فى غرفة الانتظار إن فى التأخير عليه خطراً أى خطر ، وإنه يجب أن يقابل الطبيب توًّا

فارتدى الطبيب فى عجلة ثوباً منزليًّا ، ثم أذن للمريض أن يدخل عليه . ألفى (ك) نفسه فى حضرة رجل غريب ، يبدو من مظهره الأنيق أنه ينتمى إلى الطبقة الراقية ، وتتجلى فى وجهه الشاحب علائم آلام جسمانية عنيفة ، وكان يحمل ذراعه اليمنى فى رباط معلق بعنقه ، ومضت تنفلت من فمه زفرات حرار بالرغم من احتياله على ضبط نفسه وكبت انفعاله . وسأل فى صوت ضعيف واهن :

— الدكتور ك ... ؟

— إنه اسمى يا سيدى

— لم أتشرف بعد بمعرفتك إذ أقيم بالريف ، ولكنى سمعت بك ، ولست أزعم أنى سعيد بعقد أواصر المعرفة بينى وبينك ، فزيارتى لك الآن غير لائقة ...

ولما رأى الطبيب أن ساق المريض لا تقويان على حمله ، دعاه إلى الجلوس

— إننى تعب مكدود ، لم تكتحل عيناى بالنوم منذ أسبوع . هناك شىء فى يدى اليمنى لست أدرى أهو بثرة أم خراج . كان الألم خفيفاً بادئ الأمر ، أما الآن فهو ألم شديد فى التهابه ، مستمر فى عذابه ، ينمو ويقسو يوماً عن يوم حتى لقد بلغ غايته . لم أعد أطيقه . لذا جئتك أضرع إليك أن تستأصل مكان الألم فقد يقودنى إلى الجنون لو تقضت ساعة أخرى

وحاول الدكتور أن يسرِّى عن المريض بقوله إنه قد يستطيع إزالة الألم بالعلاج والأدهنة دون اللجوء إلى استعمال المبضع ؛ بيد أن الرجل قال صائحاً :

— لا ... لا يا سيدى الطبيب ، إن الأدهنة لا تستطيع شفائى . يجب استعمال المبضع ، لقد جئتك لاستئصال ذلك الجزء الذى يسبب لى كل هذا الألم الكبير

فطلب إليه الطبيب أن يكشف عن موضع الألم . فضغط المريض بأسنانه متوجعاً من شدة الألم ، وبكل حذر وعناية راح يحرر يده من الأربطة التى حولها

— أتوسل إليك ياسيدى الطبيب أن تصارحنى بحقيقة ما قد ترى . إن حالتى ولا ريب غريبة ، ولكن أرجو ألا تهتم لذلك كثيراً

فأخذ الدكتور (ك) يسرى عن الرجل الغريب خوفه واضطرابه ، ولم يكن الطبيب ليكترث لانفعال مريضه وهو الذى خبر مثل هاته الحالات كثيراً ، بيد أنه ذهل ذهولاً كبيراً حينما تحررت اليد من أربطتها . لم يكن فيها شىء غريب . لم يكن بها جرح

ولا كدم ، كانت يداً كسائر الأيدى . فتركها الطبيب ـ لفرط ذهوله ـ تسقط من يده دون عمد منه ، فانفلتت من الغريب صرخة ألم شديدة ، ثم رفع الطرف المصاب بيده اليسرى مبيناً للطبيب أنه ما أتى بقصد المزاح وأنه حقا يعانى ألماً شديداً

— أين الجزء الموجع ؟

— هنا يا سيدى

قال الغريب ذلك مشيراً إلى نقطة فى ظهر يده حيث يتقاطع عرقان كبيران ، وارتعد جميع بدنه حينما لمسها الطبيب بطرف أصبعه لمسة خفيفة

— أتحس هنا الألم اللاهب ؟

— نعم فى قسوة وعنف

— أتشعر بألم حين أمسه بأصبعى ؟

لم يجب الرجل، وإنما امتلأت عيناه بالدمع. إلى هذا الحد كان يتألم

— عجباً ! لا أستطيع أن أرى فى ذلك الموضع شيئاً غريباً

— وأنا أيضاً . بيد أن ما أحسه من الألم جد فظيع ، حتى أنه يكاد يسوقنى أحياناً إلى ضرب رأسى فى الجدران والحوائط

ففحص الطبيب مكان الداء بالمجهر ثم هز رأسه :

— إن الجلد لملىء بالحياة ، وإن الدم ليجرى من تحته فى دورة منتظمة، وليس ثمة التهاب ولا خراج. إن هذا الجزء سليم كأى جزء آخر

— ولكنى أظن أنه أشد حمرة

— أين ؟

فأخذ الرجل الغريب من جيبه مفكرة أخرج منها قلماً من الرصاص ورسم فوق يده دائرة فى اتساع قطعة من فئة الستة بنسات وقال :

— هنا

فنظر الطبيب إلى وجه الزائر . لقد بدأ يعتقد أن بالرجل خبلاً

— لك أن تقيم هنا إن شئت ، وستبرأ بعد أيام قلائل

— لا أستطيع البقاء ... لا تحسب أننى مجنون ثم إنك لن تشفينى بتلك الوسيلة ، إن الدائرة التى رسمت بقلمى هى موضع الألم المبرح ، وقد جئتك لتقطعها ليس غير

— مستحيل

— ولم ؟

— لأن يدك لا تحمل مرضاً ، لا أرى فى الموضع الذى أبنت أكثر مما أرى فى يدى أنا

— أراك تحسب أنى رجل مخبول ، أو أنى جئتك أسخر منك

ثم أخرج من مفكرته ورقة من فئة الألف فلورين وضعها على المكتب واستطرد يقول :

— والآن يا سيدى ، أحسبك لا تظن أنى أمزح . إن ما أطلب إليك القيام به ضرورى لازم ابتغاء شفائى . أرجوك أن تستأصل ذلك الجزء من يدى

— أكرر لك القول يا سيدى أنك لا تستطيع

— وإن عرضت علىّ كل كنوز الأرض — أن تحملنى على تشويه عضو من الجسم سليم ، أو على الأقل تحملنى على قطعه بمبضعى

— ولم لا ؟

— لأن مثل ذلك العمل يجلب الشك فى مقدرتى كطبيب ويحط من سمعتى. سيقول كل امرىء إنك كنت رجلاً مضطرب العقل ، وإنى لم أكن أميناً باستغلال حالتك ؛ أو شقّ علىّ — لجهلى — تشخيص الداء ووصف الدواء

— حسن جداً. إذن سأطلب إليك صنيعاً ضئيلاً فى وسعى أن أجرى العملية لنفسى ، سأجريها بيدى اليسرى ، ولكن ذلك لا يهم ، فقط أرجو أن تتفضل وتعنى بالجرح عقب العملية

ذهل الطبيب حين رأى عزم الرجل من إصراره وحين ألقاه ينزع عنه معطفه ويحسر كُمّى قميصه ، ويستل بيسراه مبضعاً

وبعد ثانية واحدة كان السلاح قد أحدث فى الجلد ثغرة . فصرخ الطبيب :

— قف !

خشى أن يقطع المريض — أثناء ارتباكه — عرقاً هاماً

— ما دمت مُصرًّا على إجراء العملية ، فدعنى أقم بها. وأخذ المبضع وأمسك اليد المريضة بيسراه ورجا الرجل أن يدير عن المشهد رأسه خشية أن يؤثر فيه منظر الدم وهو ينهمل

— لا ضرورة ألبتة لذلك . على العكس . علىّ أنا أن أرشدك إلى حيث تقطع . ظل الرجل يرقب العملية فى برود شديد وجود، مشيراً إلى حدود الموضع، حتى أن اليد المفتوحة لم ترتجف وهى مستقرة فى يد الطبيب يعمل فيها المبضع فى سرعة عنيفة . ولما أن أزيل الجزء الدائرى ، تنهد الرجل فى عمق كأنما أحس راحة عظيمة

— أما من شىء يؤلمك الآن ؟ فقال الغريب مبتسماً :

— لقد انتهى كله . زال الألم تماماً كما لو كان فارقنى مع الجزء المقطوع . وإذا قورن التعب الذى أحسه الآن من نزيف الدم بالألم الأول لكان كالنسيم الرطيب عقب لفحة من ريح جهنم . دعه ينزف ، إن نزيفه يجعلنى سعيداً جدّ سعيد

وجعل الرجل الغريب يرقب الدم فى لذة وهو ينصب من الجرح انصباباً . فاضطر الطبيب أن يلح عليه فى ربط الجرح إلحاحاً قاسياً

وفى أثناء ربط الجرح تغيرت ملامح وجهه . لم تعد تحمل علائم الحزن والألم . بل ارتسمت عليه علائم الراحة والاطمئنان . واختفت أمارات اليأس والاضطراب . ونمت أساريره عن الحياة ، وعاد إلى خديه لونهما ، وتحول الرجل السليم تحولاً كبيراً .

وعند ما علق يده بعنقه أمسك بيده الأخرى يد الدكتور وهزها فى حرارة وقال :

— آه ! شكراً يا سيدى الطبيب شكراً ! حقاً لقد شفيتنى من داء عضال ، وإن الهدية الزهيدة التى أقدم لك لن تتناسب بحال مع ما قمت لى من صنيع جلل . سأظل طوال حياتى أبحث عن طريق أستطيع معها أن أفى الدين الذى حملتنى

ولم يكن الطبيب ليصغى إلى قوله ؛ وأبى أن يستحل ألف الفلورين المستقرة فوق المكتب ، كذلك رفض الرجل الغريب أن يستعيدها ، فرجاه (عند ما لاحظ أنه مس كبرياء الطبيب) أن يكتتب بها لإحدى المصحات . ثم غادره ومضى

وبقى الرجل عدة أيام أخر فى منزله بالمدينة حتى يلتئم الجرح الذى فى يده . وفى تلك الأثناء استطاع الطبيب أن يلتمس لنفسه المعاذير لتصرفه إزاء رجل مثل مريضه واسع الاطلاع خيالى النزعة ، له فى سائر أسباب الحياة رأى صائب ... إزاء رجل كان إلى جانب ثرائه يشغل منصباً حكومياً كبيراً . وما بدا على الرجل أى داء آخر منذ أن بارحه داؤه الخفى . وعند ما اكتمل العلاج ، عاد الرجل من حيث أتى ، إلى مثواه بالريف

وفى ذات صباح بعد ثلاثة أسابيع ، وفى ساعة غير لائقة كالمرة الأولى ، أعلن الخادم ثانية قدوم المريض الغريب

دخل الرجل على الدكتور بذراعه معلقة بعنقه فكاد الطبيب ألا يعرفه لما أقم وجهه من نوازع الألم المبرح الشديد . ولم ينتظر دعوته إلى الجلوس بل تراى على أحد المقاعد غير قادر على ربط جأشه وضبط نفسه ، وطفق يئن ويتأوه وهو يمد ذراعه الموجعة إلى الطبيب . فسأله ك . . . فى ذهول :

— ماذا جرى ؟

فأجاب فى صوت خافت بنبرات حزينة :

— لم نقطع إلى العمق الكافى . إنه يؤلمنى أشد من ذى قبل . أكاد أتمزق من هول الألم، إن ذراعى متصلبة من شدته . ولم أرد أن أزعجك كرة أخرى فتحملت الألم فى صبر آملاً أن يصعد الألم الخفى رويداً رويداً إلى رأسى أو يهبط شيئاً فشيئاً إلى قلبى فيضع بذلك حداً لحياتى التعسة البائسة . بيد أن أملى قد خاب . لم يبرح الألم مكانه ولكن بوقع هائل مخيف . انظر إلى وجهى تر مقدار ما أعانى من وطأته

حقاً كانت بشرة الرجل فى لون الشمع والعرق البارد ينضح جبينه . حل الطبيب رباط اليد . كان مكان العملية حسن الالتئام . وقد تبدى جلد جديد ولم يكن يُرى فيها شىء غريب وكان نبض المريض سريعاً دون ارتفاع فى درجة الحرارة ، وكل جزء فى بدنه يرتجف ارتجافاً . قال الطبيب فى دهشة :

— يا للعجب ! لم أر فى حياتى مثل هذه الحالة !

— إنه فظيع . . . فظيع جداً يا دكتور . لا تحاول أن تجد لهذه الحال تعليلاً . إنما نجنى من هذا الألم المر الشديد . خذ سلاحك واقطع إلى مدى أعمق وأوسع . هذا فقط ما ينقذنى

واضطر الطبيب إزاء توسلات مريضه أن يجرى العملية من جديد ، فراح يقطع فى اللحم بمبضعه إلى مدى أعمق من ذى قبل . وللمرة الثانية رأى على ملامح مريضه علامات الراحة العجيبة لدى رؤيته الدم ينزف من الجرح . ولما أن التفت اليد فى الأربطة زايلت صفرة الموت الوجه وعاد اللون إلى الخدين . ولكن المريض لم يبتسم . فى هذه المرة شكر الطبيب فى حزن ومرارة

— أشكرك يا دكتور . لقد فارقنى الألم مرة أخرى ، وفى بضعة أيام سيندمل الجرح ومع ذلك فلا تدهش إذا عدت إليك قبل شهر واحد

— أوه يا سيدى المحترم ! إنزع من نفسك هذا الوهم

ووصف الطبيب هذه الحال الغريبة إلى كثير من زملائه . فمضى كلٌ يدلى فيها برأى دون أن يهتدى إلى تعليل صائب لطبيعة المرض

وتدانت غاية الشهر . فترقب ك .. فى قلق عودة هذه الشخصية الواهمة ولكن الشهر تقضّى ولم يأت الرجل

وتصرّمت بضعة أسابيع أخر ، وفى النهاية تسلم الطبيب كتاباً من عليله ، وكانت الكتابة دقيقة مضطربة ، وعند ما نظر إلى التوقيع فى ذيل الخطاب أدرك أن المريض هو الذى حرره بيده وتلك محتويات الكتاب :

— سيدى الطبيب . إننى لاأستطيع أن أدعك وعلم الطب فى مهاوى الشك نحو المرض الغريب الذى سيقودني وشيكاً إلى القبر

وسأكشف لك هنا عن مصدر هذا الداء المخيف . لقد عاودنى للمرة الثالثة فى الأسبوع الفائت بيد أنى لن أصارعه أبداً بعد ذلك ، وإنى الآن أكتب إليك بمعونة « حراقة » وضعتها على مكان الألم من يدى ، وفى أثناء التهاب الحراقة لا أحس الألم الآخر . إنها تسبب ألماً طفيفاً إذا قورن بألم المرض اللاهب المستعر

كنت ما أزال رجلاً سعيداً منذ ستة شهور

أعيش بدخلي عيشة رخية ناعمة ، على صلة حسنة بكل إنسان ، أمتع نفسي بكل أسباب الحياة كما يفعل كل رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وقد تزوجت — عن حب كبير — منذ سنة بسيدة صغيرة جميلة ، ذات عقل ناضج ، وقلب طيب إلى أقصى حدود الطيبة ، وقد كانت تعمل كوصيفة خاصة للكونتيس التى تقيم بجوارى . وما كانت ذات مال وقد سلمتنى قلبها ، ليس اعترافاً بالجميل فحسب ، بل عن حب ساذج برىء ، وتصرمت ستة شهور ، كان كل يوم فيها أشهى وأجمل من أخيه الفائت ، وإذا اضطرتنى الظروف القواهر أن أترك مسقط رأسى وأبرح إلى پست ليوم واحد ، لم تكن زوجى فى أثنائه تذوق طعم الراحة بل قد تقطع من الطريق فرسخين ابتغاء استقبالى ، وإذا حدث أن تأخرت تراها تقضى فى انتظار أوبتى ليلة طويلة حشوها التفكير والسهر ، وإذا أفلحت فى حملها على زيارة سيدتها السابقة — التى لم ينقص حبها لها شيئاً منذ زواجى بها — فلم يكن ثمة قوة تحملها على البقاء لديها أكثر من نصف يوم فحسب . بل قد تفسد على الآخرين مرحهم وبهجتهم بانقباضها لغيابى . بل بلغ من رقتها معى أنها كانت ترفض الرقص كيلا تسلم يدها رجلاً غريباً ، وما من شىء كان يسوءها أكثر من إشادتى بإخلاصها وترديدى لوفائها . على الجملة كانت زوجى كفتاة غضة الإهاب طاهرة ، لا تفكر إلاّ فىّ ، وتعترف لى بأحلامها الخالية من طيفى كأنها سيئات اكتسبتها

ولست أدرى أى شيطان مضى يهمس فى أذنى: وما يدريك لعل كل هذا نفاق ... آه يا سيدى ! إن الرجال مولعون بالتنقيب عن العذاب والألم إبّان أقصى سعادتهم

وكان لزوجى مكتب حرصت على أن تغلق درجه بعناية تامة ، ولقد لاحظت ذلك كثيراً . لم تنس المفتاح مرة ، ولم تترك الدرج مفتوحاً مرة

وسنح فى ذهنى خاطر مُقِضّ ، أنشب مخالب الشك فى صدرى ، وبعث الاضطراب والجنون فى نفسى . ماذا تخفى ثمة ؟ لقد انقلبت وبى جنة وخبل . لم أعد أثق بطهارة وجهها ولا بصفاء نظراتها . لم أعد أومن بمواطفها الجياشة ولا بقبلاتها الحارة الثائرة . ماذا لو كان كل هذا رياء فى رياء ؟

وفى ذات صباح أقبلت الكونتس تدعو زوجى لقضاء شطر من اليوم فى بيتها . تمنعتْ وترددتْ ولكنى أفلحت بعد إلحاح فى حملها على قضاء اليوم معها . وكان يفصل البيتين بضع مراحل . وقد وعدتُ أن ألحق بها بعد ساعات قلائل

وما أن ابتعدت العربة قليلاً حتى جمعت كل مفاتيح البيت وشرعت أجربها على القفل وأفلحت بأحدها فى فتح الدرج . أحسست كمن يرتكب جريمته الأولى . كنت كالسارق فى محاولتى الكشف عن أسرار زوجى ، وارتعدت يداى وأنا أجذب الدرج إلىّ فى عناية وحرص . وقلبت محتوياته شيئاً فشيئاً حتى لا يتم تغيير نظامها عن عبث يد غريبة . وانقبض صدرى وأحسست كأن كابوساً يجثم على أنفاسى فيختنقنى خنقاً . وفجأة عثرت يدى بحزمة من رسائل كانت كأنها سيال من الكهرباء سرى من رأسى إلى قلبى فاشتد وجيبه وترادفت خفقاته . أوه ! كانت نوعاً من الرسائل يعرفها المرء بنظرة ... رسائل غرام . وكانت الحزمة يضمها شريط من الحرير الأحمر بجانبين فضيين

وعند ما لمست الشريط كرت على ذهنى الخواطر: أهل هذا معقول ؟ أيليق هذا برجل شريف

أن يختلس أسرار زوجة ؟ أسرار قد ترجع إلى يوم أن كانت فتاة صغيرة ؟ وهل يحق لى أن أحاسبها على تصرفات أتتها ولمّا تكن لى زوجة ؟ أيحق لى أن أغار من سلوكها فى وقت كنت فيه مجهولاً لديها ؟ من يستطيع أن يأخذ عليها هفوة أو لحاً ؟ من ؟ حقاً لقد أجرمت أن ظننت بها الظنون . . . فعاد الشيطان إلى همسه . ولكن ماذا لو كانت الرسائل فى عهد لك فيه الحق كله فى الوقوف على كل تصرفاتها وأفكارها ، فى عهد قد تغار فيه من أحلامها ، فى عهد هى فيه ملك لك أنت وحدك . وحللت الشريط ، لم يرنى أحد ، لم يكن هناك حتى مرآة أرى فيها حمرة الخجل تصبغ وجهى . فتحت رسالة ثم أخرى ، ثم قرأتها جميعاً حرفاً حرفاً

أوه ! كانت علىّ ساعة رهيبة

ماذا كان فى تلك الرسائل ؟ أدناً خيانة رأيت رجلاً يذهب ضحيتها . وكان كاتب الرسائل واحداً من أصدقائى . . . من أصدقائى الأعزة ، والأسلوب الذى به كُتِبتْ ! أى عاطفة ! أى غرام ! وكم تحدث عن « كتمان السر » وكانت الرسائل جميعها فى عهد كنت فيه زوجها ، بل فى أرفع درجات السعادة الزوجية . من أين لى أن أصف لك شعورى آنذاك ؟ تصور أنت الأثر الذى يتركه سم زعاف فتاك . قرأت كل الكتب واحداً إثر واحد ثم حزمتها ثانية ولففت الشريط حولها ، ثم وضعتها مكانها وأغلقت الدرج

كنت أعرف أنها ستعود من لدن الكونتيس فى المساء إن لم ترنى ظهراً وقد فعلت . هبطت من المركبة فى سرعة وهرولت نحوى وأنا أنتظرها على الدَّرَج ، وقبلتنى فى رقة وفى حنان ، وبدت جد فرحة سعيدة لعودتها إلى جوارى ثانية ، ولم أسمع لما يعتمل فى نفسى من نوازع بالظهور على وجهى . وتجاذبنا الحديث ، وتناولنا العشاء معاً ، ثم ذهبنا إلى فراشنا بغية النوم . لم يغمض لى جفن تلك الليلة . ظللت سهران يقظان ، ورحت أترقب الساعات وأحصى الدقائق . ولما دقت الساعة ربع الساعة الأول بعد منتصف الليل ، نهضت ودخلت مخدعها . كان رأسها الصغير الجميل غارقاً فى الوسادة البيضاء كصورة ملاك نورانى بين السحب الناصعة البياض . يا للطبيعة الكاذبة ! أى شىء يطمئن تحت ستار تلك الطهارة الجمة ! كان لى عزم رجل مجنون أصر على شىء ، ترينُ علىّ فكرة رهيبة ، كان السم قد نخر روحى ، عزمت على قتلها وهى فى نومها !

ولأدع تفاصيل جرى الشنيع . ماتت دون أن تبدى أية مقاومة فى هدوء كما يستسلم امرؤ للنوم . ما كانت تقاومنى أبداً فى شىء ، حتى حين قتلتها . نقطة واحدة من الدم سقطت على ظهر يدى (وأنت تعرف أين) ، ولم أزلها حتى اليوم التالى ، كانت قد تجمدت

وواريناها مثواها الأخير دون أن يرتاب أحد فى الأمر ، وقد كنت أعيش فى عزلة كاملة . ومن كان فى وسعه أن يكتشف أمرى ؟ لم يكن لها أبوان ولا ذوو قربى فيسألونى عن شىء ، وقد تعمدت أن أتباطأ فى إرسال بطاقات النعى حتى يفوت الموعدُ الأصدقاء والمعارف .

ولدى عودتى من المقبرة لم أشعر فى ضميرى بأى وخز ولا تقريع . كنت قاسياً حقاً ولكنها كانت أهلاً لكل قسوة . وما كنت سأمقتها ، بل كنت سأنساها ، إذ كان نادراً ما أذكرها . لم يحدث أن ارتكب امرؤ جريمة قتل بمثل هذا الضمير الخالى من الوخز والتبكيت .

وبلغ الكونتيس النبي ، وقد دبرت كل شيء تدبيراً حتى أنها هي أيضاً وصلت متأخرة ، وبدا عليها الحزن الصادق حين رأتني ، وقد كانت كلماتها تقطر — لست أدري — رعباً أو إشفاقاً أو حزناً ، حتى أنني لم أدرك تماماً ماذا كانت تقول في عزائي !

هل كنت معنياً إليها ؟ وهل كنت في حاجة إلى عزاء ؟ لم أكن حزيناً ولا آسفاً ! وأخيراً ، أخذتني من ذراعي بجرأة وقالت كأنما صوتها يتساقط من بين شفتيها : إنها مضطرة أن تفضي إلي بسر ، وإنها تعتمد على شرفي كرجل نبيل في كتمان هذا السر . قالت: إنها أعطت زوجتي حزمة من الرسائل لتحفظها لديها ، إذ أنها لم تستطع أن تخفيها في بيتها . وشعرت عدة مرات بإبان حديثها بهزة تسري في كل كياني ، وسألتها وأنا أصطنع البرود عما تحوي هذه الرسائل ، فجفلت السيدة لهذا السؤال وقالت غاضبة :

— سيدي ! لقد كانت زوجك أكرم منك . حينما تعهدت بحفظ رسائلي لم تسألني قط عما تحتوي بل لقد وعدتني صادقة ألا تلقي عليها نظرة واحدة . وإني لعلى يقين أنها لم تقرأ منها سطراً واحداً . كان لها قلب نبيل ، كانت ولا ريب ستخجل من الحنث بوعودها التي قطعت ... فأجبتها :

— حسن جداً . ولكن كيف أعرف هذه الحزمة ؟

— يضمها شريط أحمر بجانبين فضيين .

— سأذهب أبحث عنها .

ثم أخذت مفاتيح زوجي وأنا أعلم يقيناً أين أجد الرسائل ، ولكني اصطنعت العثور عليها بعد جهد وسألتها وأنا أمد بها يدي إليها :

— أهذه هي ؟

— أجل ... أجل إنها هي ... أنظر ! إنها نفس العقدة التي عقدت . لم تمسسها يد أبداً

لم أجسر أن أرفع عيني في عينيها . خفت أن تقرأ فيهما أني حللت رباط الحزمة بل وأكثر من هذا غادرتها توا ... فهرولت إلى مركبتها ثم ابتعدت بها بعد قليل

وقد اختفت نقطة الدم ، ولم يكن ثمة دليل على وجود الألم ، ولكن أثر نقطة الدم كان يلسع كلسع سم زعاف قاتل . وكان هذا الألم يستفحل ويشتد ساعة بعد ساعة . وقد كنت أغفو أحياناً . بيد أن الألم لم يفارقني لحظة . ولم أبث أحداً شكوتي . وأي امرئ يصدق قصتي ؟ لقد لمست بنفسك مقدار ماعانيت من عذاب ، ورأيت بعينيك كيف استرحت عقب إجراء كلٍّ من العمليتين ، ولكن سرعان ما كان الألم يعود عقب اندمال الجرح ... والآن ها هو ذا يفترسني للمرة الثالثة ، ولم يعد بي على احتماله طاقة ولا قوة ... سأكون ميتاً بعد ساعة من كتابة هذه السطور . شيء واحد يعزيني ، هو أنها انتقمت لنفسها هنا في الدنيا . وقد تصفح عني في السماء . إني لشاكر لك ما صنعته من أجلي ، عسى أن يثيبك الله عني خير الجزاء »

بعد ذلك ببضعة أيام كان المرء يرى في الصحف أن س ... أحد سراة المدينة المبرزين قد حطم رأسه برصاصة . وأشاع البعض أنه انتحر حزناً على زوجه ، واقترب البعض من الحقيقة بإشاعتهم أنه كان به داء أعيى نطس الأطباء فانتحر تخلصاً منه . أما الذين يعرفونه فقد قالوا إنه كان مصاباً بنوع من الجنون monomania وإن جرحه المؤيس لم يكن له وجود إلا في مخيلته

محمد عبد الفتاح محمد